

العنوان: العلاقات التجارية بين شمال المغرب والمغارب من الفترة الوسيطة إلى التاريخ المعاصر

المصدر: دورية كان التاريخية

الناشر: مؤسسة كان التاريخية

المؤلف الرئيسي: موحن، وليد

المجلد/العدد: س 11، ع 42

محكمة: نعم

التاريخ الميلادي: 2018

الشهر: ديسمبر

الصفحات: 82 - 87

رقم MD: 1027876

نوع المحتوى: بحوث ومقالات

اللغة: Arabic

قواعد المعلومات: HumanIndex

مواضيع:

رابط:

الأقطار المغاربية، المخطوطات التاريخية، الاستيطان الاستعماري، العلاقات التجارية

<https://search.mandumah.com/Record/1027876>

العلاقات التجارية بين شمال المغرب والمغارب من الفترة الوسيطة إلى التاريخ المعاصر

وليد مومن



باحث في سلك الدكتوراه الحديث والمعاصر

جامعة الحسن الثاني المحمدية

الدار البيضاء - المملكة المغربية

ملخص

لقد دأبت الأسطوغرافية التاريخية المتعلقة بالتأريخ للمجال المغاربي على الجانب السياسي والمعطى الحربي والشأن السلطاني وابتعدت عن المساحات في النواحي الاقتصادية والاجتماعية التي تعد حقيقة وأس الكاتبة التاريخية المعاصرة حسب ما جادت به المدارس التاريخية الراهنة، وقد قطع هذا الباب أشواطاً في الأصقاع الأوربية، وخلف دراسات ثرية، وأطروحتات غنية، ومنوغرافيات جزلة ومحكمة استطاعت أن تتكبّل على الجوانب الخفية من التأريخ للاقتصاد والفرد والهامش وغيرها من التجليات الغائرة. انطلاقاً من هذا المعطى ارتأينا تسليط الضوء على العلاقات التجارية والاقتصادية بين شمال المغرب والمغارب من خلال تتبع مسارتها ومصادرها وأهم تجلياتها من حقيق الماءة المصدرية المتوفرة سواء تلك الكتبوبة باللغة العربية أو التي حبرتها أيادي غربية من أجل رؤية منسجمة لفحوى هذه العلاقة في مدها وجزرها. يطرح البحث في الشق الاقتصادي والتجاري بخصوص المجال المغاربي جلة من الإشكالات النهجية والمعرفية، خاصةً أن "المغاربيون" يعتبرون هذا المجال الموسماً إليه مجالاً جغرافيًّا ليس له حدود مرسومة إلى غاية الاستعمار والحماية، وإنما ينتمي إلى ذلك رئيس هو "العالم الإسلامي" - "دار الإسلام" مقابل العالم الغربي - "دار الكفر" مما يطرح صعوبات تتجلّى في استكناه المادة المصدرية التي أرخت لهذه الفترة. إن العلاقات التجارية بين شمال المغرب والمغارب بلغت مرحلة كبيرة من الأوج والازدهار انطلاقاً من العصر الوسيط كما نستشف من المصادر الجغرافية، أو الفترة الحديثة على الرغم من الصراعات التي كانت قائمة في المنطقة، وخضوع الأقطار المغاربية للسيطرة العثمانية، غير أن هذه المبادرات بلغت مكملاً عظيم إبان الفترة المعاصرة وإن كان جزء من المغرب في هذه الفترة فقد استقلاله وسقط في شباك الإمبريالية الفرنسية انطلاقاً من سقوط الجزائر المدوي سنة ١٨٣٠ وما أعقبها من انتكسات شملت عموم المجال المغاربي من ضغوط استعمارية وجوانب وثنائية وأفات دنيوية بشكل سلطت عليه الضوء الكتابات السلطانية وما وصلنا من محظوظات تاريخية وتنفس مصدرية.

كلمات مفتاحية:

التاريخ التجاري، الرحلات الحجازية، المغارب، التجارة المغربية، شمال المغرب

٢٠١٧ ٣١ يوليو تاريخ استلام المقال:
٢٠١٧ ٢٨ نوفمبر تاريخ قبول النشر:

DOI 10.12816/0054800

معرف الوثيقة الرقمية:

بيانات المقال:

الاستشهاد المرجعي بالمقال:

وليد مومن. "العلاقات التجارية بين شمال المغرب والمغارب من الفترة الوسيطة إلى التاريخ المعاصر". - دورية كان التاريخية.
السنة الحادية عشرة - العدد الثاني والأربعون، ديسمبر ٢٠١٨، ص ٨٢ - ٨٧.

مقدمة

الأوضاع الاقتصادية والمبادرات التجارية ونوعيتها. وإن كان الفكر التاريخي الأوربي قد قطع أشواطاً هامة في هذا المضمار، من خلال النهل من نهج مدرسة الدوليات عبر أعمالها الرائدة من طرف جهابذة هذا الاتجاه وعلى رأسهم فرناندو

عرف البحث التاريخي طفرة توعية باذتراته لمام عدة موضوعات تاريخية، وكشفه عن مكنون عدة مصادر دقيقة تميّز اللثام عن جلة من القضايا الإشكالية على شاكلة

نفسه يشير الدكتور محمد حبيدة في كتابه "بؤس التاريخ" أن الدراسات ذات صلة بمجموع المغارب الكبير ظلت ناقصة.^(٢) فالباحث والدارس إن أراد استكناه التوقيع الاقتصادي والاجتماعية عليه بالصبر والأناء وصبر أغوار المصادر والتنقيب بين ثناياها. ومن المصادر التي يمكن أن تشكل بنوع يمتحن منه الباحث مدةً ذكر:

١/١-ينبع الرحلات العجائية إلى الأراضي المقدسة

عرفت العلاقات المغربية المشرقية امتداداً روديناً وتواصلة ثقافياً منذ فترات مبكرة، حيث شكلت الرحلة إلى بلاد الجاز لآداء فريضة الحج هاجساً لدى معظم المغاربة، خاصتهم وعامتهم، وقد دأب بعض العلماء المغاربة خلال فترات مختلفة من تاريخ المغرب على تدوين رحلاتهم في أسلوب أدبي متين.^(٤) ومن هنا من الممكن أن يقتني الدارس بعض القضايا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي أوردها هؤلاء الرجال في معرض رحلتهم عن بلدان المغرب، حيث كان الركب يندو إلى مصر عبر الجزائر وتونس وطرابلس وبذلك يكتسي هذا الركب أهمية تجارية قصوى.^(٥)

١/٢-المصادر الرئيسية

كتب المصادر الرئيسية أساساً في البلدان المغاربية من أجل الحديث عن الحياة السياسية ومناقب وسبايا السلطات الداقمة، وهذا لا يمانع أن هذه المصادر تضم بين طياتها معطيات ثرية حول الحياة الاقتصادية والمبادلات التجارية في خضم ما باحث به.

١/٣-المصادر الجغرافية

بما تضمنته من أوصاف مجالية ومعطيات طبيعية، تحفل مثلاً هذه المصادر ببعض المعطيات الاقتصادية والتجارية التي تغنى البحث في تاريخ المغرب منها.

- ابن حوقل: صورة الأرض

- المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم

- البكري: المسالك والممالك

- الحسن الوزان: وصف أفريقيا

- مارمول كاريجال: أفريقيا

١/٤-المراجع

ما زال البحث التاريخي المغربي يعوزه التنقيب في قضايا التاريخ الاجتماعي والاقتصادي، مع وجود بعض المحاولات الجادة من نظير:

بروديل، ولوسيان فيفر، وجون لوبيج في بحثه في المجال المغربي.

فإن نقطتنا المغاربية لزالت مثل هذه البحوث تظل في ظل الشح والندرة فجل الدراسات انصرفت إلى الجانب السياسي والدبلوماسي وما باح به من حروب ومعاهدات واتفاقيات، وفي هذا الصدد ووعياً من أهمية "التاريخ الاقتصادي" ارتأينا أن نبحث في موضوع "العلاقات التجارية بين شمال المغرب والمغارب" وهو موضوع ما زال بكرأ، يتطلب البحث والتنقيب بين ثنايا السطور والنتف المنتشرة بين رهات المصادر والمراجع والموازنات المحلية والوطنية والمغاربية.

فلاد غرو أن المبادلات التجارية بين شمال المغرب والمغارب عرفت شأوا عظيماً برغم من النزول اليسيير في بطون المصادر والمراجع، وسنحاول بين متون هذا العرض أن نستجلِّي هذه العلاقات من خلال التعريف بالمصادر والمراجع التي يمكن النهل منها، وكذا معرفة جغرافية المنطقه باعتبار أن العوامل الجغرافية تلعب أدواراً أساسية في تفسير دركية التاريخ خاصةً في شقه الاجتماعي، إضافةً إلى تتبع النشاط التجاري بين شمال المغرب والمغارب في بعده الزمني الطويل وذلك بتتبع نشاطه من القبة الوسيطية إلى الفترة المعاصرة.

ولد شك أن الميدان التجاري وسليلة الاقتصادي ما زال يعاني من نقص مهول في ميدان الدراسات والبحوث والأطروحات الجامعية، حيث يشير الأستاذ عمر أباً أن تاريخ التجارة لم يتم التطرق إليها بما تستحق من العناية والاهتمام، فمن خلال ما يزيد عن عشرة ألف وثمانمائة رسالة وأطروحة جامعية في مجالات العلوم الإنسانية بالمغرب منها ألف وخمس وسبعون رسالة وأطروحة خاصة بالتاريخ لم يتعرض لتاريخ التجارة حتى الآن غير إحدى عشرة دراسة. هذا بالنسبة لكل الحقب والدول المتعاقبة على تاريخ المغربي.^(٦) مما بالك بالتاريخ التجاري للمغارب.

١-المادة المصدرية المتعلقة بالموضوع

إن البحث في تاريخ المغرب يطرح عدة إشكالات منهجية تتعلق بطبيعة المادة المصدرية وشحها، حيث يشير الدكتور عثمان المنصوري بأن هناك فقراً في الدراسات المتعلقة بالفضاء المغربي على الرغم من غناه، فيما زال الحديث عن هذا النوع من الدراسات من باب الأماني،^(٢) وفي السياق

والصحراء. وتتوزع الخريطة البشرية لبلاد المغرب بين قبائل ببرية وعربية وأفارقة وسودان، وكان لهذه التشكيلة دور مهم في المجالات الاقتصادية المختلفة.

٣- العلاقات الاقتصادية بين شمال المغرب

والمغارب: العصر الوسيط

يطرح البحث في الشق الاقتصادي والتجاري بخصوص العصر الوسيط جملة من الإشكالات المنهجية خاصةً أن المغاربة شانهم بذلك شأن باقي المسلمين كانوا لا يعتبرون أنفسهم أجانب بالبلاد الإسلامية بحكم الشعور الذي تعمق لديهم بالانتماء إلى الدار نفسها. فجل المبادلات كانت قائمة مع الأقطار الأوروبية، وقد أشار كانارد (CANAR) أن الرسائل التي كانت متداولة بين المسلمين ونظرائهم في باقي أقطار الإسلام لم تحمل البة أية هموم تجارية تذكر.^(٩)

ولما نعدم الإشارات المصدرية بخصوص الفترة الوسيطية في بعض المصادر الجغرافية بخصوص العلاقات التجارية بين شمال المغرب والمغارب، حيث يذكر ابن حوقل في كتابه "صورة الأرض" عن مدينة البصرة^(١٠) بأن القطن كان منتشرًا في أرجائها معروفة بالمتاجرة فيه وتصديره إلى مجموعة من المناطق من بينها "أفريقيا" حيث يقول: "مدينة مقتضدة عليها سور ليس بالمنعن ولها مياه عن خارجها من عيون عليها بساتين من شرقها ولها غلات كثيرة من القطن المحمول إلى إفريقيا وغيرها ومن غلاتهم القمح والشعير والقطاني وسهفهم من ذلك وافر.^(١١)" كما اشتهرت المدينة بكثرة الثروة الدباوية فيها ورداية مراعيها، وإنما تاجها للألبان حتى سُميت في متون المصادر "بمدينة الألبان" على حد تعبير أبي عبد الله البكري ولا نستبعد تصديرها إليه إلى سائر المغارب على شاكلة القطن.

كما حملت من فاس البرانس المديوني إلى سائر المغرب كما كان يصدر فائض الذهب بسلب لاماسة إلى شتى الأقطار الأوروبية والمغاربية انطلاقاً من ميناء أصيلاً وسبتة، وتخبرنا الرحلات الجازية أن النحاس كان يصدر من المغرب إلى المشرق عبر قوافل الحجيج المتوجه إلى بيت الله، وبما أن المناطق المغاربية طريق رئيسة في مسار الرحلات المكية، فقد انتشرت تجارة النحاس بها. بالإضافة إلى ذلك كانت المواشي ضمن الصادرات وشملت طلبات المشرق من المغرب الأقصى، ناهيك على التمور، والقرنفل، والبودرة، والبزرة السوداء. ومن هذا يمكن لنا أن نتبين أن القوافل التجارية

فاطمة بلهواري، التكامل الاقتصادي والمبادلات التجارية بين المدن المغاربية خلال العصر الوسيط، منشورات الزمن، الدار البيضاء، ٢٠١٠.

- إدريس بوهليلة، الجزائريون في طوان خلال القرن ١٣-١٩هـ، مساهمة في التاريخ الاجتماعي للمغرب الكبير، منشورات الشباك، طوان، ٢٠١٢.

Vanacker, C., «Géographie économique de l'Afrique du Nord», in Annales, S.E.C, 1973

٤- المعطيات الطبيعية للمغارب

لابد لنا ونحن ندرس النشاط الاقتصادي لبلاد المغرب من تأييد ما قاله أحد الباحثين، من أن أي نشاط تجاري لمجتمع ما يتطلب الإهاطة بالبيئة الطبيعية، ونوعية العناصر التي يتكون منها، لأن العملية الاقتصادية هي تفاعل الإنسان مع بيئته، والإنسان نتاج طبيعته.

تشكل بلاد المغارب وحدة جغرافية متميزة عن بقية أجزاء القارة الإفريقية، وقد كان لطبيعة الأرض ونوع المناخ تأثير في توزيع المياه ومناطق الاستقرار فيها، وبالتالي في أنشطتها الاقتصادية، وت تكون تصاريحها من سلسل جبلية وهضاب وصحراء، وتتخللها أودية، وأنهار، وعيون، لذا يمكن تقسيم بلاد المغرب جغرافيًا إلى ثلاثة أقسام رئيسية، وهي المنطقة الساحلية، والجبلية، والصحراء.^(٧) وتمتد المنطقة الساحلية على طول شواطئ البحر الأبيض المتوسط حتى مدينة طنجة واعتبرت هذه المنطقة تجمع بشري منذ زمن مبكر. وتوجد بجانب السهل الساحلي منطقة سهول داخلية، وغالبًا ما تكون منفصلة ومنقطعة في صورة تلال، كسهل فاس ومكناس، وتلمسان وبني سليمان بالجزائر، وباجة في تونس، وقد ساعدت هذه السهول على امتداد الطرق التجارية بين مدن بلاد المغرب المختلفة خلال العصر الوسيط.

أما المنطقة الجبلية فتمتد من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي، ولعل أهمها في موضوعنا هي الريف في شمال غرب المغرب، والتل في الجزائر وتونس. في حين تعتبر المنطقة الصحراء الكبرى من بلاد المغرب، فتمتد من واحات برقة، وفزان، وزويلة، وورجلان، إلى سجلamas^(٨)، أما شمال المغرب فلابد توجده صحراري على غرار باقي بلدان المغرب القاحلة، ومع ذلك فإن الينابيع والواحات تنتشر في أغلب المواقع، وبفضلها أمكن للقوافل التجارية أن تنترق هذا المجال. أما بخصوص المناخ فهو متباين بين المتوسطي

حسب الأستاذ مصطفى الغاشي نوع من التعامل التجاري بين الحاج والسكان المحليين، بحيث كانت القوافل محملة ببعض البضائع التي يمكن تزويجها مع سكان المناطق التي يمر منها الركب^(١٥)، فيقول أبي سالم العياشي: "فإذا أخذت في تجهيز أمرك فأشتر شئاً من الجلد الأحمر فهو نافق أمامك".^(١٦) ومن البضائع التي كانت منتشرة كثيرة في قوافل الحاج برأ وبحراً "القرنفل والكليل والسواك والزعفران والجاوى والمشط وشىء من الإبر والكافذ".^(١٧) وفي مدينة مليلاة وصل مركتا من الجزائر يحمل (١٢) أثني عشر مدفعاً ثقيراً لأنجاد حسن باشا الذي كان يحاصر مدينة فاس وذلك عام ١٥٥٨م، وقد اهتم أتراك الجزائر بهذا الحسن وسموه بالميناء الجديد.^(١٨)

والملاحظ في الفترة الحديثة أن التجارة والاقتصاد تراجعاً بشكل كبير ومهول بفعل الأوبئة والمجاعات التي كانت ضارة أطناها، والحروب التي كانت أوبتها شامخة، والظروف السياسية المتربدة، سواء بعد وفاة أحمد المنصور الذهبي، أو السلطان العلوي المولى إسماعيل.

٥- العلاقات التجارية في الفترة المعاصرة

برغم أن جل الأدلة وجهت أنظارها إلى المعاملات التجارية مع الأقطار الأوروبية، مقدمة معلومات ضافية حول وارداتها وصادراتها، فإننا لا نعد المادة المصدرية بخصوص تبودلت التجارية بين شمال المغرب والمغارب في الفترة المعاصرة، والتي سترى صفحات استعمارية انتهت بسقوط المغرب الكبير في شباث الإمبريالية الأوروبية.

وقد لعب مرسى طوان في القرن الثامن عشر دوراً رئيساً بحيث أصبح المرسى الوحيد لسائر المنطقة الشمالية، بالإضافة إلى تتمتع المدينة بنوع من الاستقلالية عن السلطة المركزية، وفي الوقت نفسه مرفاً بديرياً رئيساً، وبذلك أصبح مرفاً طوان الوريدي المؤهل لاستقبال السفن الواردة من الخارج.^(١٩) ومن أوجه التجارة بين طوان والجزائر نذكر أن جزءاً كبيراً منها كان يقوم على الوسق فكانت طوان تصدر نحو الجزائر قسماً مهماً من إنتاجها الحرفي مثل البلاغي وأنواع الحصير، وقد انتقلت هذه الصناعة إلى الجزائر على يد أسرة الحسيسين التي كان أفرادها ينتقلون بين طوان ووهران، كما كانت طوان قاعدة لتزويد الأمير عبد القادر بالأسلحة. بينما كانت تستورد طوان من الجزائر منتجات الحرير وبعض الأوانى الصفرية وكذلك الفزرة.^(٢٠)

وخط سيرها من المغرب الأقصى عبر المغارب إلى المشرق كان مرئاً تجارياً غنياً ما زال في حاجة ماسة إلى البحث والتنقيب.^(١٢)

كما عرفت هذه المبادرات التجارية عدة صراعات وحزمات بين السكان^(١٣) في هذه الأقطار، فهذا ابن عذاري المراكشي يحدثنا أن رجلاً من جند كتمة قام على رجل من تمار أهل القيراون، فلما دافعوه عنه، شهروا عليهم بالسلاح، وأردوا نهب الدوايني. وكذلك قضية أوردها الونشريسي ضمن نوازله حول قضية عقارية وتجارية وقعت بين أحد التلمسانيين ونظراه المغاربة في مدينة فاس عام ٨٧٩هـ.

وقد شكلت المنتوجات الزراعية نسبة كبيرة من قائمة التبادل التجاري بين أقاليم المغرب الثلاثة، خاصة وأن الكثير من مدن المغارب التي كانت تنتج المحاصيل الزراعية بأنواعها وهذا ينطبق على التجارة بين المغرب الأقصى وإقليمي المغرب الأوسط والأدنى. فقد حمل الفستق من مدينة قفصة إلى المغرب الأقصى. أما غلات الزيتون والزيت والتي اشتهرت بإنتاجها مدينة سفاقس في المغرب الأدنى فكانا يحملان إلى مدن أقاليم المغرب. كما عرفت مدن المغرب الأوسط مثل بونة وزلو بإنتاجها الوافر للحنطة والشعير ومدينة ادليس بإنتاجها الواسع للزعفران،^(٤) وإن كنا لا نملك إشارة صريحة إلى تصديره غالى شمال المغرب المتوسطي بالذات ذلك أن المصادر اكتفت بذكر بلاد المغرب الأقصى دون مدنه إلا في حالة شاذة مثل ذكر مدينة البصرة السالفة الذكر. ولا شك أن ميدان المبادرات التجارية خاصة في الحقبة الوسيطية في حاجة ماسة إلى اختراع المصادر الدفينة من كتب النوازل والترجمات والمناقب والطبع والفلاحة وغيرهم.

٤- العلاقات التجارية في الفترة الحديثة

أصبح المغارب من الناحية السياسية في الفترة الحديثة ذات وضعية اعتبارية خاصة، فالمغرب الأقصى استقر به الحال بعد فوضى مجالية إلى حكم الأشراف السعديين ونظائرهم العلويين، والمغاربة الأوسط والأدنى أصبحوا داخل نطاق الدولة العثمانية، وقد نشطت الرحلات التجاريه بصفة وازنة إبان هذه الفترة، فلا نعدم الرحلات التي قطعت المغارب في اتجاه البقاع المقدسة محملة بشتى ضروب وأنواع السلع التي صرفت جلها في أقطار المغرب عند استراحتها.

ومن الرحلات التي انطلقت من قاعدة طوان نذكر: رحلة ابن عثمان المكناسي، ورحلة الرافعي التطوانى، فقد ظهر

الأسواق المشرقية والمغاربية، حيث يشير الدكتور خالد بن الصغير أنه في سنة ١٨٧٢ تم شحن ما يربو عن ٢٦٤ بالة احتوت على ٧٩٢٠ زوجة صدرت نحو الجزائر.^(٢٦) وبخصوص إيالة تونس يخبرنا الناصري أن المغرب قدم حمولات تجارية إلى تونس بعد سفارة الرياحي لدى مولاي سليمان الذي وفد إلى فاس في سياق أزمة غذائية طاحنة، طالباً باسمه إلى تونس تقديم إمدادات مغربية لمواجهة المسغبة، مما يدل على أن العلاقات بين تونس العثمانية والدولة المغاربية كانت قائمة بصفة ودية، ولد شك أن المبادرات التجارية مهمة بين الطرفين.^(٢٧)

خاتمة

خلاصة القول، إن العلاقات التجارية بين شمال المغرب والمغارب بلغت مرحلة كبيرة من التطور، انطلاقاً من العصر الوسيط كما نستشف من المصادر الجغرافية، أو الفترة الحديثة على الرغم من الصراعات التي كانت قائمة في المنطقة، وذخور الأقطار المغاربية للسيطرة العثمانية، غير أن هذه المبادرات بلغت شأوا عظيماً في الفترة المعاصرة وإن كان جزء من المغارب في هذه الفترة فقد استقلاله وسقط في شباك الإمبرالية الفرنسية. إن موضوع العلاقة التجارية بين شمال المغرب والمغارب، يعد مجالاً رحباً للبحث، قد يبوج بعدة معطيات ثرية وغنية عن الحياة الاقتصادية من خلال استقصاء المصادر المدنية والوطنية، والتنقيب في الأرشيفات العثمانية والأوروبية، من أجل تدقيق طبيعة المبادرات التي كانت قائمة بين هذه الأقطار والمدن المغاربية.

ومن أهم الخلاصات التي توصلنا إليها بين ثنياً هذا العرض المتواضع:

- أن العلاقات التجارية بين شمال المغرب والمغارب كانت قائمة بينة شملت عدة منتجات أساسية، وبلغت قمتها وشأوها في الفترة الوسيطية.
- أن المادة المصدرية متوفرة بكثرة، تحتاج فقط إلى صبر وأناء في انتراها، وكشف مكنونها، ورصد زادها، وعدم الاقتصار على المصادر المعرفة، بل ينبغي إماتة اللثام على المصادر الدفينة من كتب المناقب والتراجم والطبع والفلاحة وغيرها. إضافة إلى الدراسات الأجنبية التي دونما شك تُعدّ عمدة في التاريخ لتاريخ المغارب قاطبة، وفي شقه التجاري خاصة.^(٢٨)

ومع احتلال الجزائر هاجر إلى تطوان ثلاثة من الأسر الجزائرية التي عملت على إثراء الحياة التجارية، وإدخال حرف جديدة إلى الحاضنة التطوانية كما أشار الأستاذ إدريس بوهليلة في كتابه "الجزائرون في تطوان". ومن التجار المغاربة الذين حلوا بالقطر الجزائري نذكر محمد السليماني صاحب كتاب "اللسان المغربي عن التهافت الأجنبي على المغرب"، حيث كان يقيم العديد من التجار الفاسيين في قطر تلمسان،^(٢٩) ولا يذيرنا صاحب الكتاب عن نوعية التجارة التي كانت سائدة في هذه المدينة. وحسب الأستاذ عكاشه برباب فإنه يستفاد من الوثائق القليلة أن القوافل التجارية المتوجهة من فاس إلى غربالجزائر كانت تربط بانتظام، أما المواد المنقوله، فبعضها منتجات مغربية من أصل فلاحي (حبوب، ملابس صوفية، جلود ذمار أو مواد مصنعة، أو جلود مصنعة زيوت، دناء، عسل...).^(٣٠)

غير أن الوضع تغير بعد احتلال فرنسا للجزائر، فأصبحت الجزائر البلد الإسلامي، تعيش في ظل نظام غير إسلامي، فبادر السلطان عبد الرحمن إلى معارضه إقامة علاقة تجارية بين البلدين. وتذوق أن تستعمل التجارة مطيلاً لامتداد النفوذ الفرنسي إلى المغرب.^(٣١) وفي سنة ١٨٦٧، أصدرت السلطات الفرنسية بالجزائر مرسوماً نص على إعفاء المنتجات المغاربية من أداء الرسوم الجمركية، مع محاولة جادة من طرف بريطانيا من أجل الحد من هذه التجارة وسيطرتها على المبادرات مع موائع شمال المغرب.^(٣٢) كما أن التجارة البدوية بين ميناء سبتة ووهان كانت قائمة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، حيث يخبرنا الرحالة الفرنسي Henri Duverier) (هنري دوفييري، أنه في ١٨ نوفمبر من سنة ١٨٥٢، سيطر الإسبان على مركب محمل بالسلع في حوزة القلعيين متوجهًا إلى ثغر وهران.

ويعتقد بعض الدارسين أن أصول قبيلة بطيوة المستقرة بأزوبي في المنطقة الوهريانية تعود إلى قبيلة بني سعيد الريفية، التي يتحمل أن تكون استقرت في الجزائر منذ القرن الثامن عشر نتيجة المبادرات التجارية التي كانت قائمة خاصة بين سبتة ومليلية ونظرتهم وهران، وقد تحدث الكثير من الدراسات عن هذه الهجرات التجارية وفي مقدمتها.^(٣٣)

Auguste Mouliéras, Le maroc inconnu Marquis de Sagonzac; Voyages au Maroc

وقد لعب أيضًا ميناء طنجة دورًا كبيرًا في تصدير واستيراد عدة منتجات سواء إلى الأقطار الأوروبية أو إلى

الهَوَامِشُ:

- الأندلس دراسات في التاريخ والأركيولوجيا** – تقديم إلينسانية طوان، ٢٠٠٦، ص ١٦٦.

(١٦) المرجع نفسه، ص ١٦٦ نقلًا عن: أبو سالم العياشي "الرحلة الصغرى".

(١٧) المرجع نفسه، ص ١٦٧.

(١٨) عبد العزيز بنعبد الله، **تاريخ المغرب العصر الحديث والمعاصر**، الجزء الثاني، مكتبة السسلام، الدار البيضاء، دون سنة النشر، ص ٨٠.

(١٩) عبد العزيز سعود، **تطوان في القرن الثامن عشر: السلطة المجتمع-الدين**، منشورات جمعية تطوان أسمير، مطبعة الخليل العربي، ط ١، طوان، ٢٠٠٧، ص ١٩٥.

(٢٠) عبد العزيز سعود، **تطوان في القرن التاسع عشر**، مطبعة الدداد يوسف إخوان، طوان، ١٩٩٦، ص ٤٣.

(٢١) محمد السليماني، **اللسان المغربي عن التهاافت الأجنبي حول المغرب**، مطبعة الثمنية، الرباط، ١٩٧١، ص ١٥٦.

(٢٢) عكاشة برباب، **مشكلة التجارة بين المغرب والجزائر ١٨٣٠-١٩٧٠**، ضمن ندوة التجارة في علاقتها بالمجتمع والدولة عبر تاريخ المغرب، جامعة الحسن الثاني، الجزء (٢)، الدار البيضاء، ١٩٨٩، ص ٢٤٧.

(٢٣) المرجع نفسه نقلًا عن: أطروحة عبد الرحيم الموزن ايناونو والمذنسن ١٨٧٣-١٩٧٣، رسالة جامعية، كلية التداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ص ٤٢.

(٢٤) Miége J.L;Le Maroc et L Europe 1830-1894; P.U.F; Paris, 1962, T2, P.267.

(٢٥) ميمون أريزا، هجرة أهل الريف إلى الجزائر بين قساوة الطبيعة وعنف الاستعمار (١٨٥٦-١٩٥٦) ضمن ندوة العنف في تاريخ المغرب، أشغال أيام الوطنية (٢١) للجمعية المغربية للبحث التاريخي ١٤-١٦ نوفمبر ٢٠١٢، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ٢٠١٣، ص ١٤.

(٢٦) خالد بن الصغير، **الحركة التجارية بمرسى طنجة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر**، ضمن ندوة طنجة في التاريخ المعاصر ١٨٠٠-١٩٥٦، الناشر العربي للثقافة، طنجة، ١٩٩١، ص ٨٦.

(٢٧) أحمد بن خالد الناصري، **الاستقصاء للأخبار دول المغرب الأقصى**، وزارة الاتصال والثقافة، الرباط، ٢٠٠١، ج ٥، ص ١٩٧.

(٢٨) وقد فتح الموضوع شهيتنا، وأصبح عن نهمنا حيال التنقيب في مثل هذه المواضيع الجادة في التاريخ الاقتصادي الذي لم يفرج بعد عن كنوزه، ويُعد منحًا بكلّ ينبعي كشفه.

(١) أفا عمر، **التجارة المغربية في القرن التاسع عشر البنيات والتحولات ١٨٢٠-١٩١٢**، منشورات مكتبة دار اللّامان، الرباط، ٢٠٠٥.

(٢) المنصوري عثمان، "التقارير الخثامية عن أعمال ورشات أيام الوطنية للجمعية المغربية للبحث التاريخي"، مجلة البحث التاريخي، العدد ٤٤، ٢٠١٥، ص ١٢٤.

(٣) محمد حبيبة، **بؤس التاريخ، مراجعات ومقاربات**، دار اللّامان، ٢٠١٥، ص ٥٤.

(٤) أميغيط نور الدين، **رحلة العبدري نموذجاً**، مجلة أمل، العدد ٤٨.

(٥) R.Thomassy. **Le Maroc et ses caravanes**.Meurtim édition.Paris. P.61. 1845

(٦) عز الدين موسى أحمد، **النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس هجري**، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٣، ص ٢٥.

(٧) بلهواري فاطمة، **التكامل الاقتصادي والمبادلات التجارية بين المدن المغاربية خلال العصر الوسيط**، منشورات الزمن، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ٢٠١٠، ص ١١.

(٨) مؤلف مجهول، **كتاب الاستقباص في عبائب الأنصار**: وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب، تحقيق: عبد الحميد سعد غلول، جامعة الإسكندرية، ١٩٥٨، ص ١٠٩.

(٩) Canard(M); **Les relations des Mérinides avec les Memeloukes; Annales des l institut des études orientales**; 1939; Paris; P.73.

(١٠) مدينة أسست في الفترة الإدريسية ولعبت أدوار طلاقية، وتحولت في فترة وجيزة من مجرد قرية إلى مدينة عامة ومركز اقتصادي كبير، تعرضت للنديثار ولم تعد لها قائمة في وقتنا الحالي، تقع على طريق سوق أربعاء الغرب في اتجاه وزان، على بعد حوالي ٤ كلم من الساحل الأطللنطي وحوالي ٢٠ كلم جنوب مدينة القصر الكبير.

(١١) حوقل أبي القاسم، **صورة الأرض**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ١٩٩٦، ص ٨٠.

(١٢) **النشاط التجاري في المغرب الأقصى خلال القرن ١١-٩**، رسالة ماجستير تحت إشراف صباح إبراهيم الشيشلي، جامعة بغداد، ٢٠٠٤، ص ٧٩.

(١٣) المرجع نفسه، ص ٨٠.

(١٤) **النشاط التجاري في المغرب الأقصى خلال القرن ٩-٦**، مرجع سابق.

(١٥) مصطفى عبد الله الغاشي، **الطرق وظروف الرحلة إلى مكة في الفترة الحدبية - المغرب الأقصى نموذجاً**- ضمن المقرب